

## مقابلة مع محمد زيدان رئيس لجنة المتابعة \* حول تبعات الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية

أجرى المقابلة: نبيل الصالح\*\*

جدل: السيد محمد زيدان، نشكرك على إتاحة الفرصة أمامنا لإجراء هذه المقابلة. لقد ارتأينا أن نُجري معك هذه المقابلة لمجلة "جدل"، نظرًا إلى أهميّة وخطورة الموضوع الذي سيتناوله العدد الخامس من "جدل"، وهو مفهوم الدولة اليهودية وإسقاطات الاعتراف بالدولة اليهودية علينا. في الأونة الأخيرة، نلاحظ تعاضدًا في المساعي الإسرائيلية الرسمية لتحقيق اعتراف عالمي (وحتى عربي) بإسرائيل كدولة يهودية. لا بل إنهم يطالبون حتى الفلسطينيين والسلطة الفلسطينية بذلك، بل ويرهنون مستقبل المباحثات بين الطرفين بهذا الاعتراف؛ وهذا أمر جديد.

في هذه المقابلة، نودّ أن نعرف وجهة نظرك إلى هذه الأمور ومعرفة تقييمك، بوصفك رئيسًا للجنة المتابعة، لإسقاطات هذا الاعتراف علينا.

ولنبدأ بتوجيه السؤال: ماذا يعني مفهوم "الدولة اليهودية" بالنسبة لنا نحن، الفلسطينيين في إسرائيل؟ وما هو تأثيرها على حاضرنا ومستقبلنا؟

السيد محمد زيدان: طرّح هذه الفكرة في هذا الوقت على وجه الخصوص، وبهذه القوة، يعكس حقيقة أنّ إسرائيل بدأت فعلاً بتنفيذ مرحلة جديدة في علاقتها بالفلسطينيين، وبدأت تغلق ملفّات القضية الفلسطينية بصورة قانونية ورسمية. وهي في هذه المرة لا تطبق حُطّها على نحو حرّ ومستقلّ مع الاكتفاء بصمت عالمي وعربي، وإنما تطالب العالم العربيّ والعرب والعالم الإسلاميّ - ولا سيّما الفلسطينيين - بالاعتراف بيهودية دولة إسرائيل. أعتقد أنّ هذا فعلاً إغلاق لملفّات كثيرة، إغلاق لملفّ حقّ العودة وفتح ملفّ آخر يتعلّق بفلسطينيي الداخل. لهذا الأمر انعكاسات خطيرة على حقّ العودة، وذلك أنّه يعني فعلاً ألا يفكر العالم العربيّ ولا الدول الغربية ولا الفلسطينيون في قضية العودة، نهائيًا. محاولة إغلاق ملفّ حقّ العودة، وتزامُن هذا مع سنّ قوانين إسرائيلية ترمي إلى التصييق على المواطنين العرب في إسرائيل، وقضية مبادلة الأرض بين مؤسسات الدولة بحيث تستمرّ مؤسسة الكيرن كيمت (الصندوق القوميّ اليهودي) في السيطرة على ما يقرب من 15% من أراضي الدولة، وفي الآن ذاته يُمنع العرب ويُحرّمون من استعمالها، حتى ضمّانًا، ومشروع خصخصة الأراضي الذي سيبدأون بتنفيذه، كلّ هذا يجري في تزامن مقصود ومدروس ولم يكن وليد المصادفة. من ناحية أخرى، إصرار الإسرائيليين على أنّه لا يمكن أن يكون ثمة تحرّك جديد في مفاوضات السلام مع الشعب الفلسطينيّ إلا إذا كان

هناك اعتراف من الفلسطينيين بالحقّ بيهوديّة الدولة دليل على أنّ إسرائيل تعتبر أنّ الأوضاع السياسيّة الحاليّة، إسرائيليًّا وفلسطينيًّا وعالميًّا، هي فرصة سانحة لتحقيق هذا الاعتراف. أنا أعتقد أنّ هذا خرقٌ لجميع الاتفاقيّات الموقّعة تحت رعاية الدول الكبرى (كالولايات المتّحدة -على سبيل المثال) وتجاوزٌ للقرارات الدوليّة بهذا الخصوص، وهو ينسف كلّ مبدأ المفاوضات مع الفلسطينيين.

أنا أعتقد أنّنا نحن، الفلسطينيون أبناء هذا الوطن الأصليين، نواجه اليوم وضعًا صعبًا وحساسًا، وضعًا قد يتحوّل إلى مفصل مهمّ في تاريخ الصراع العربيّ الإسرائيليّ (الصهيونيّ)؛ فإسرائيل تريد أن تفرض رأيها بقوتها. وليس المقصودُ بهذا قوتها العسكريّة فحسب، وإنّما كذلك قوتها الكامنة في منطق مفاوضاتها وفي إصرارها على أن يجري الاعتراف بيهوديّة الدولة الإسرائيليّة قبل أن تبدأ المفاوضات مع الفلسطينيين. كلّ هذا في حين يعاني الطرف الآخر من حالة اقتتال داخليّ مؤسفة للغاية ولها آثار مدمّرة.

من ناحية ثانية، نجد أحيانًا بعض التصريحات العربيّة والفلسطينيّة التي تدعو إلى الاطمئنان وإلى وجود وعي عربيّ لخطورة مفهوم الدولة اليهوديّة، لا سيّما ما يرشّح من جمهوريّة مصر العربيّة حول الموقف من هذا الموضوع، ومُفاده أنّ مصر لن تعترف ولن تقبل بالاعتراف بيهوديّة الدولة. هذا ما سمعناه من السفير المصريّ، وسمعناه على لسان الرئيس حسني مبارك، ونأمل أن يكون هذا هو الموقف الرسميّ، وكلّنا أمل أن يبقى موقفًا صلبًا صادقًا لا رجعة فيه. موقف مصر هو حجر الزاوية في ما يتعلّق بهذا الموضوع. تقييّمنا هذا لأهميّة الموقف المصريّ أبلغنا السفارة المصريّة والحكومة المصريّة به، وأعلمناهما بامتناننا للموقف المصريّ وأملنا في أن يظلّوا صامدين على الموقف نفسه، ونعتقد أنّ لديهم قوّة على الصمود في هذا الموقف والإصرار عليه إن أرادوا ذلك.

**جدل: هل هذا الموقف المصريّ نابع من قلق على حقّ العودة، أم هو نابع من إمكانيّة وقف مباحثات السلام مع السلطة الفلسطينيّة، بغضّ النظر عن حقّ العودة؟**

**محمد زيدان:** في الحقيقة، نحن ما خُصنا في التفاصيل حول الدوافع التي أفضت إلى هذا الموقف المصريّ. ما يهّمنا هو الموقف الذي أعلنوه، وهو موقف يرفض الاعتراف رسميًا بيهوديّة الدولة وصهيونيّتها. المصريون يرون، وهذا ما ذكر هنا وهناك، أنّه لا ينقص المنطقة مليونٌ ونصف مليون لاجئ فلسطيني جديد، ومعنى ذلك أنّه إذا اعترفت مصر بيهوديّة الدولة فهي بهذا تمنح الحكومة الإسرائيليّة الحقّ في أن تتصرّف مع المواطنين العرب فيها كيفما تشاء، إذ إنّها ستقول إنّ ذلك: "ماذا تريدون منّا ما دمتم معترفين بيهوديّة الدولة؟ نحن نتصرّف على أساس أنّها دولتنا، وأننا أحرار في اتخاذ القرار في ما يتعلّق بمن سيكون في هذه الدولة". من منطلق هذا السيناريو على الأقلّ، ترفض مصر الاعتراف بالدولة اليهوديّة. وربّما كانوا قد أخذوا القضايا الأخرى، كقضيّة حقّ العودة، بعين الاعتبار؛ فالاعتراف بيهوديّة الدولة يعني شطب قضيّة حقّ العودة إلى الأبد (هذا في أقلّ تقدير - ووفق قاموس السياسة المصريّة). أعتقد أنّ هذا الموقف المصريّ يُشجع التشجيع والدعم.

**جدل: هل تتوقع من طرف السلطة الفلسطينيّة موقفًا حازمًا في رفضه الاعتراف بيهوديّة دولة إسرائيل؟**

محمد زيدان: بالرغم من بعض التحفظات من الموقف الفلسطيني في رام الله بشأن قضايا مختلفة تتعلق بجوانب القضية الفلسطينية، أعتقد أن المسؤولين الفلسطينيين (الرئيس محمود عباس وآخرين طبعاً) لن يقبلوا الاضطرار الإسرائيلي بشأن الاعتراف بالدولة اليهودية. لن أتطرق هنا إلى موقف الحكومة المقالة في غزة، فموقفها واضح وصريح أكثر بكثير من الموقف الرسمي الفلسطيني، والرؤى هناك أبعد وأكثر صلابة. أعتقد أن الاعتراف بالدولة اليهودية هو، كما قيل في أكثر من مناسبة، خط أحمر، أي إنه لا يمكن لأي حكومة فلسطينية -مع أي رئيس كان- أن يعترف بيهودية الدولة، وذلك أن هذا أيضاً يعني الاعتراف بصهيونيتها... لأن هذا يغلق ملفات كثيرة، ويفتح ملف العرب في الداخل.

إذا نظرنا اليوم إلى التطورات في شأن الشعب الفلسطيني وإسرائيل منذ النكبة في العام 1948، رأينا أنه كانت مشكلة الدولة العبرية في بداياتها، في الأساس، الشعب الفلسطيني الذي طرد من وطنه إلى الخارج، إلى الشتات، وأن ممارسات إسرائيل وعنفها وإصرارها وتجنيد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها قد تمكنت من أن تصور مسألة استعادة الشعب الفلسطيني في الشتات لحقوقه أمراً مبنوساً منه، إذ صار هناك واقع سياسي جديد في المنطقة معه لا يمكن الحديث عن تحقيق العدل، وعن حق العودة للاجئين الذين في الشتات. في الوقت نفسه، كانت إسرائيل قد قطعت مرحلة أخرى، أي ضيّقت الدائرة أكثر، وكأنها أغلقت ملف فلسطيني الشتات في خانة تفكيرها وانتقلت إلى مرحلة الضقة والقطاع، أي ضيّقت الدائرة أكثر على الشعب الفلسطيني، ونحن نرى منذ أواسل حتى اليوم ماذا أعطوا فعلاً للشعب الفلسطيني. أنا أرى أنه ليست ثمّة أيّة نيّة صادقة لإقامة الدولة الفلسطينية وحلّ القضية الفلسطينية على نحو عادلٍ حسب رؤية الشعب الفلسطيني ورغبته، ولا حتى وفق القرارات الدولية. المماثلة والتمويه من طرف إسرائيل هما سيّدا الموقف في العلاقة مع الفلسطينيين. إسرائيل تتصرّف على نحو معيّن وتصرّح بمواقف مناقضة له، وهي تفرض واقعاً على الأرض وتغيّر المعالم، سواء أكان ذلك في القدس أم في كلّ منطقة الضقة الغربية.

وهناك خطورة أخرى نابعة من قضية صهيونية الدولة ويهوديتها، هي انتقال الدائرة إلى الداخل، إلى الفلسطينيين في إسرائيل... وهذه هي الدائرة الأخيرة... ليس من المستبعد أن تتجلى هذه الخطورة عملياً بعملية تفرغ ديموغرافي لسكان العرب الذين هنا بحجة أن إسرائيل انتقلت إلى واقع جديد يهودية الدولة هي أهم معالمه. وإسرائيل تطلب إلى العالم العربي والإسلامي والفلسطيني الاعتراف بها دولة يهودية كما يكون لديها مبرر لما تخطّطه وما تفكر فيه. ونحن نرى اليوم عملية التصعيد في التصريحات المعادية للمواطنين العرب، والتغذية العنصرية المتبادلة بين الشارع والحكومة في إسرائيل. هذه مؤشرات تقلقنا فعلاً وتثير في أنفسنا التخوف مما قد يجري في المستقبل. عندما نفكر في مصيرنا، نحن العرب الذين في الداخل، في ظلّ إصرارهم على يهودية الدولة والانتقال من الدائرة الثانية إلى الدائرة الثالثة من دوائر وجود الشعب الفلسطيني، وفي ظلّ تصريحات شبيهة بما قاله الوزير لبيرمان بشأن أن معنى انسحاب إسرائيل من حدود الـ 67 انتقال الصراع إلى داخل الـ 48، وهو تصريح صريح وخطير يدلّ على أنهم لا يرون فينا مواطنين في هذه الدولة، وإنما يروننا جسماً غريباً

وخطراً ينبغي التعامل معه وخلق واقع جديد من أجل التغلب عليه. التفكير في مصيرنا في ظروف كهذه يثير القلق ويؤكد على أهمية التصدي لهذا الخطر.

### جدل: هل إمكانية التفرغ السكانيّ واردة أيضاً كأحد إسقاطات الدولة اليهودية؟

زيدان: أحياناً يعلنونها على نحو صريح. بعض السياسة يرمون أحياناً بعض بالونات الاختبار المتعلقة بهذا الأمر، ابتغاءً فحص ردود الفعل العالمية والمحلية. يقولون أحياناً إنّ على العربيّ الفلسطينيّ في إسرائيل الذي يريد إعلان انتمائه لشعبه ولأمّته أن يذهب إلى هناك - إلى الضفة الغربية والدول العربية - تسيبي ليفني قالت هذا أثناء حرب غزة عندما كانت تنبؤاً منصبياً ربيعاً، وكانت مرشحة لرئاسة الحكومة. علينا أن نأخذ مثل هذا التصريح الخطير من طرف شخص مسؤول على محمل الجدّ لا العكس، فهي تعرف ما تقول. وهي ليست الوحيدة التي أدلت بتصريحات خطيرة إلى هذا الحدّ، إذ إنّ أفيدور ليرمان وآخرين سواه قالوا كلاماً مشابهاً. لذا نحن نرى في هذه التصريحات وهذه الأجواء أمراً خطيراً فعلاً، لا سيّما إذا اعترفت الحكومات العربية والعالم الإسلاميّ والعالم العربيّ والعالم كلّه بإسرائيل دولة يهودية اعترافاً رسمياً. الآن يضغط السياسيون على أميركا للاعتراف بيهودية الدولة ويعرفون ما تأثير ذلك على الآخرين... وإذا جرى هذا الاعتراف، فإنّ ذلك يعطي الإسرائيليّين شرعيةً أن يتصرفوا وفقاً ما يرون، والخطر الذي نتحدّث عنه يمكن أن يتحقّق فعلاً.

### جدل: وهذا يشمل تبادل مناطق من المثلث مع كتل المستوطنات؟

زيدان: سمعت للمرة الأولى عن قضية التبادل في أعقاب هبة القدس والأقصى في عام 2000. بعد أن هدأت الأجواء قليلاً، بعد مرور أسبوع أو أسبوعين، اتصلوا بي من إذاعة "جالي ثسهل" وسألوني عن الموضوع. عندها قال لي المذيع إنّه يوجّه إليّ سؤالاً نظرياً هو: ماذا سيكون ردّ فعلكم إذا صدر قرار بنقل منطقة المثلث (بما في ذلك أم الفحم وحتى قرى المثلث الجنوبيّ)، أرضاً وسكاناً، إلى مناطق السلطة الفلسطينية؟ قلت له حينذاك إنّ كلامه يبدو من باب الممازحة، ولكن هذا الكلام مرفوض، على كلّ حال. استغربت الإجابة وتابع قائلاً: لماذا؟ نحن لا نريد أن نأخذ أرضاً ونطرد السكان، بل أن ننقل الأرض والسكان. شرحت له سبب رفضي، وهو الموقف الذي ما زلنا نصرّ عليه اليوم، بعد أن ازداد الحديث عن هذا المخطّط ازدياداً مقلّماً حقاً. أنا أرى عملية التبادل هذه عملية تفرغ ونقل ما يتراوح بين 250 ألفاً و 300 ألف مواطن عربيّ من حدود الدولة بغية خلق توازن جديد ديمغرافياً. يريدون التخلص من 300 ألف عربيّ - وهذا يبعث على القلق.

في الماضي، توجّهنا إلى السلطة الفلسطينية نطالبهم باسم الجماهير العربية في الداخل ألا يطرحوا هذا الموضوع على جدول البحث مطلقاً؛ وذلك أنهم إذا وضعوه على طاولة البحث فسيصبح واقعاً، وستكسب المفاوضات حوله شرعيةً. بالرغم من أننا طلبنا ألا يناقش، أجدني متخوفاً من أن تجري بعض المفاوضات مع الإسرائيليّين حول الموضوع. ثمّة إمكانية أن تكون عملية تبادل، مع أننا لا نعرف التفاصيل؛ ولكن قبل نحو أسبوعين كان هناك خبر

ملخصه أن هنالك ثلاثة أطراف جلست من أجل تعديل ووضع خرائط معدلة لحدود معدلة: الطرف المصري (الذي كان شريكاً في الموضوع)، والطرف الإسرائيلي، والطرف الفلسطيني.

الآن، إذا ربطنا الأمور ببعضها ببعض (وهذا ليس سوى تحليل من باب التخوف دون التزوّد بمعلومات مؤكدة)، أمكننا فهم منطق فكرة نقل منطقة المثلث إلى الضفة الغربية؛ وأنا أظن أنه جرى حديث معين مع السلطة الفلسطينية حول هذا الأمر. اليوم، منطقة القدس أصبحت مزروعة بعدد هائل من المستوطنات، ومن يتجول هناك يشعر أن إسرائيل لا يمكن أن "تتنازل" بسهولة عن هذه المنطقة. يبدو أن هدف فكرة التبادل هو أن تتمكن إسرائيل أن تقول للطرف الفلسطيني: نحن نعطيكم المثلث بمساحته وسكانه، وفي المقابل نأخذ منطقة القدس حتى معاليه أدميم (أي منطقة القدس ومحيطها). والخطورة الأكبر في هذا الأمر أنه، بهذه المعادلة، يمكنهم أن يفرغوا القدس من سكانها العرب وهذا ما نراه اليوم. إن قضية المبادلة هي عملية تفرغ بشكل آخر، وإذا كان هذا الوضع مقبولاً فلسطينياً فسيكون الوضع بالغ الخطورة. وإذا كانت مصر شريكة في هذا التخطيط، فستكون مجردين فعلاً من مصادر قوتنا ومصادر مناعتنا، ولن يبقى لنا سوى قدراتنا نحن. أنا أمل أن تكون كل هذه مجرد أفكار سوداء دون أن يكون هناك حقائق على أرض الواقع.

**جدل: بالنسبة للإسقاطات الأخرى... إذا كان خطر هذا التفرغ وارداً، فستكون هذه مرحلة متأخرة. كيف سيكون سلوك إسرائيل الساعية إلى تأكيد يهوديتها تجاه الفلسطينيين في الداخل، وما هو اتجاه التضييقات والملاحقات على أرض الواقع؟**

زيدان: إسقاطات هذا بالغة الخطورة علينا كعرب فلسطينيين في الداخل. عندما كلّفوني بمهمة رئاسة لجنة المتابعة، قلت في أول تصريحاتي -ولا زلت أقول- إن هذه المرحلة من حياتنا تُعتبر أخطر مرحلة منذ العام 1948 حتى اليوم، فهي محطة من أصعب المحطات من تاريخ نضالنا في الداخل. هي مرحلة حساسة وينبغي أن نكون واعين عند مواجهة مخاطرها، وألا نتهاون باعتبار التطورات شكلية فقط. أنا أعتقد أن علينا أن نأخذ المخاطر كواقع جديد.

منذ أن تسلمت منصب كرئيس لجنة المتابعة، ظننت أن على لجنة المتابعة (التي تمثل الجماهير العربية وتعبّر عن مصالح الجماهير العربية بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والوجودية) فتح ملفنا كمواطنين في هذه الدولة مع مؤسسات الدولة. اليهود في إسرائيل يروننا خطراً على وجودهم. لذلك، أنا أقول إنه أن الأوان أن نفتح ملف طبيعة علاقتنا كجماهير عربية في الداخل بمؤسسات الدولة، وهو ملف يلقه الكثير من الضبابية والغموض، وذلك أنهم لا يعلنون ماذا يريدون. ينبغي فتح الملف لتحديد طبيعة العلاقة بيننا كجماهير عربية وبين مؤسسات الدولة على أساس حقيقة أننا نحن -كجماهير عربية في الداخل- أصحاب الأرض الأصليين، وأننا فوق أرضنا وعلى وطننا ولن نرحل ولن نهجر ولن نسمح بأن تكون هناك نكبة أخرى لعرب الـ 48. علينا أن نقول لإسرائيل بوضوح: من هذا المنطلق فقط عليكم أن تتعاملوا معنا، ولذلك عليكم أن تفكروا في السؤال: كيف نستطيع أن نعيش هذا الواقع النهائي؟ تعالوا لنضع معادلة نكون نحن فيها مواطنين وأنتم تعترفون بمواطنتنا.

جدل: الوثائق التي طرحت في السنتين الأخيرتين تطرقت الى هذا الأمر بجديّة؛ فما رأيك في ما طرحته؟

زيدان: في حقيقة الأمر، أنا لم أتعمّق في قراءة الوثائق التي وُضعت (الرؤية المستقبلية التي وضعتها اللجنة القطرية، ودستور عدالة، ووثيقة حيفا)، ولكن بدون شكّ نحن نعتبر أنفسنا، دعنا نقول... مواطنين في هذه الدولة... هذا الواقع الذي نعيش فيه... واقع وراثنا كرهاً ونعيشه قسراً.. نحن لم نختر هذا الواقع الذي نعيشه، بل وراثنا ونعيشه مُكرّهين. عندما عملنا بإصرار من أجل حقوقنا، في الماضي، تعاملوا معنا كمجموعة قومية مع أنه من الأسهل لهم أن يتعاملوا معنا كأفراد، وهكذا كان التعامل معنا كلّ الوقت... ولن أخوض هنا في الأسباب... هكذا قامت مؤسساتنا وهيئاتنا... نحن نفرض الأمر الواقع للتعامل معنا كجماهير عربيّة وكمجموعة قومية لها تمثيل عن طريق اللجان والهيئات المنتخبة، سواء أكانت تلك هي لجنة المتابعة أم اللجنة القطرية أو أيّ هيئة أخرى.

أنا أتصوّر أنّ مشكلتنا نحن هي أنّ هذه الدولة هي دولة جيش، دولة عسكري... دولة نظام صعب... نظام مخابرات... هكذا يعيشون. وينبغي أن نفهم هذا الواقع كي ننطلق منه في الردّ عليه.

جدل: السيد محمد زيدان، من المؤكّد أنّ ما بيننا وبين إسرائيل ليس سوء تفاهم. فهل إذا أنتم توجّهتم إليهم سيغيّر ذلك شيئاً عندهم؟ أو إذا نحن كعرب توجّهنا للحديث مع الأوساط الرسمية فهل سيغيّر ذلك شيئاً؟ ماذا علينا، حسب رأيك، أن نعمل، نحن على مستوى الجماهير العربيّة في الداخل، كي يأخذوا في الحسبان حقيقة أنّنا لن نقبل خطّهم بشأن الدولة اليهودية؟

زيدان: من دون شكّ، نحن في مرحلة بلورة مواقف. أنا لا أريد أن أقول إنّ لدينا وضوحاً تاماً في الموقف في ما يتعلّق بالمستقبل وبالذولة. نحن نقول إنّنا نريد أن نكون مواطنين في هذه الدولة لأننا في وطننا، ولكن أين هي حدود مواطنتنا؟ في الحقيقة، ليس ثمة تحديد لحدود المواطنة عندها. في الوقت نفسه، نحن نعرف ماذا يريدون منا... هم يريدون ألا نكون هنا... هذا هو الحلّ بالنسبة لهم... ولكننا نرفض هذا الحلّ، ونرفض الواقع الذي يطرحونه؛ وهذه مشكلة ليست بسيطة. فنحن حتّى الآن لم تحدّد رغبتنا بالضبط، وهم في وضع لا يستطيعون فيه تحديد ما يريدون أن يعطونا، لذلك فإنّه حتّى الآن لم تحدث مفاوضات جدية بتاتاً... هم يفضلون التعامل معنا، كما قلت لك، كأفراد وكمجموعات طائفية وعائلية، وحتّى اللجان التي تمثل هيئات الجماهير العربيّة لا ينظرون إليها كهيئات قومية. صحيح أنّه في المدّة الأخيرة أصبحت هناك مراسلات باسم رئيس لجنة المتابعة ورئيس اللجنة القطرية، ولكن ليس معنى هذا أنهم يعترفون بحقوقنا الجماعية... حتّى اليوم، هم استطاعوا إقناع العالم أنّ العرب في الداخل مرتاحون وسعداء، يتمتعون ويستفيدون من الديمقراطية اليهودية على أكمل وجه، ولا ينقصهم شيء، وهكذا استطاعوا أن يُقنعوا العالم عبّر وسائل الإعلام. كانوا يوهمون العالم كنه بأنّ إسرائيل دولة ديمقراطية، وأنّ كلّ مواطنيها يتمتعون بنفس القدر من الديمقراطية والمساواة والسلام... نحن لم نبدأ إلا اليوم بالتأثير على الرأي العام العالمي، وذلك عبّر وسائل إعلام عربيّة حقيقية، بعد أن كانت أبواب العالم العربيّ موصدة أمامنا. وإيصال

قضيتنا إلى العالم يتوقف علينا نحن... علينا أن نجعلهم يسمعون ويفهمون ويعرفون أن هذه ليست قضية إسرائيلية داخلية، بل هي قضية أوسع من أن تكون أمراً داخلياً، فنحن نضطهد لأننا عرب وفلسطينيون في هذه البلاد. نضطهد رغم كوننا مواطنين (من الناحية القانونية على الأقل)... لذلك، أنا أعتقد أن قوتنا تكمن في وحدتنا، ولا ينبغي أن نتكل على أحد. الفلسطينيون منشغلون بأنفسهم وليس لديهم الوقت لأحد، والعالم العربي يعجز اليوم عن أن يدعمنا ويقف معنا ويساندنا في عرض قضايانا ومواقفنا. وحدتنا كفيلة بأن توفر لنا نوعاً من الاستقرار والقوة والصمود أمام التحديات القائمة، وها هي لجنة المتابعة اليوم... يجب أن تظهر كعنوان لكل الجماهير العربية في الداخل ولكل دوائر العمل والدوائر الاجتماعية والسياسية والثقافية... لدينا عنوان هو لجنة المتابعة، وعلينا احترامه أكثر... وأن نرى بلجنة المتابعة القيادة. إذا استطعنا نحن أن نقف موحدين، مليوناً ونصف مليون يصرون على موقف واحد، سنرغم عندنا الحكومة الإسرائيلية على سماع قضيتنا وأفكارنا، ولن يكون في استطاعتها أن تتجاوز حدودها في التعامل معنا. نقول إننا لن نرحل ولن نُهجر ولن نغادر، وإما أن نموت شهداء في هذه الأرض، أو نموت فيها كراماً. هذا هو موقفنا.

**جدل:** لا ريب أنك ترى مؤخراً أن هناك نجاحات إسرائيلية في فرض قوانين ملاحقة وتضيقات. في المقابل، نحن نعبر عن احتجاجنا ضد هذه الخطوات، ولكنهم يتمادون وينجحون ويتقدمون. حسب رأيك، ما الذي يمكن أن يردّهم ويردّهم عن نهجهم هذا؟

**زيدان:** نحن في الواقع لا نحتج فقط، بل كذلك بدأنا نبادر وننقذ. عندما وضعوا القوانين الثلاثة المعروفة -النكبة وصهيونية الدولة والولاء للدولة-، أرسلت إليهم رسالة باسم لجنة المتابعة يعتبرها الجميع أقوى رسالة وصلت من الجماهير العربية إلى الحكومة. كتبت لهم على نحو واضح وصريح: إننا لن نعترف ولن نحترم هذه القوانين، لن نقبلها، ولن ننقذها. سألني أحد الصحفيين: وماذا إذا سنّوا قانوناً يفرض عقاب السجن على إحياء النكبة؟ قلت: ليعرف أصحاب هذه القوانين أن أول من سيدخل السجن هو محمد زيدان. أنا أعلنها على الملأ وعلى نحو صريح: إننا بدأنا ننقذ. أي إننا نقول لإسرائيل: اتخذوا القرار الذي تريده، ولكنكم لن تلتزمونا! لا يستطيعون إلزامنا بطريقة التعبير عن مشاعرنا ومواقفنا في ذكرى النكبة. هذه مشاعري وأنا حرٌّ فيها. وكذلك الأمر في ما يتعلق بقضية النشيد "الوطني الإسرائيلي". نحن قلناها بصريح العبارة: طابنا لن يقفوا عند سماع النشيد الوطني، ولن نحترمه... وقضية النكبة ستظلّ موضوع تعلّم في مدارسنا.

**جدل:** هل على المؤسسات والأحزاب ولجنة المتابعة والمؤسسات التمثيلية تصعيد المواجهة؟

**زيدان:** علينا جميعاً رفض هذه المواقف؛ لا أن نحتج فحسب، بل أن نرفض كلياً. ولن نحترم هذه القوانين وإن سنّوها؛ فنحن لا نُصعد، إنما نقوم بردّ فعل على سياستهم.

**جدل:** وهل هناك آليات عمل جماعي أخرى؟

زيدان: هنالك آليات مثل الإضراب. صحيح أنه كان هناك ترهل وارتخاء دام عدّة سنوات لم تُعلن فيها إضرابات، رغم أنه كانت هناك احتجاجات بمستويات مختلفة في مراحل معيّنة، وكان من الممكن إعلان الإضراب في حالات معيّنة لأنّ الإضراب رسالة قويّة. اليوم، نتيجة كلّ التراكمات الناتجة عن تعامل السلطة معنا، قرّرنا أنه ينبغي أن يكون هناك إضراب، وأنّ علينا أن نحرك جمهورنا، إذ إنّ أغلب هذا الجمهور لا يعي أين نحن ولا يدرك ماهيّة المخاطر القادمة.

بعض جمهورنا يعاني من اللامبالاة تجاه قضاياها الجماعيّة. وعلينا أن نعمل في سبيل أن يدخل في الصورة. خذ، على سبيل المثال، احتجاجنا ضدّ حرب غزة. جرت مظاهرة ضخمة للمواطنين العرب هنا، عندما خرجت الناس بصورة عفويّة. جمهورنا تفاعل مع الحدث ويتفاعل مع القضية، ولكنّه بحاجة إلى بعض التوجيه. هذا هو المطلوب اليوم من قيادة الجماهير العربيّة - أن تُقدّم التوجيه الصحيح، وفي الوقت المناسب، بغية إشراك الجمهور في كلّ هذه المعادلة.

### جدل: وكذلك في التصدي لمطلب يهوديّة الدولة...

زيدان: أجل، المظاهرة القطريّة والإضراب العامّ في ذكرى هبة الأقصى والقدس، في مطلع أكتوبر من هذه السنة، كانا رسالة إلى الأوساط الحاكمة مُفادها أننا نرفض يهوديّة الدولة، ولا نقبلها، ولا نتعامل بها، وتستطيعون أن تفعلوا ما تريدون. يتحدّثون عن يهوديّة الدولة، ويُثبِّعون ذلك بالحديث عن الولاء للدولة، فهل يأتي هذا الولاء بفرض القانون عنوة؟! أيّ دولة في العالم اليوم تسنّ قوانين كهذه تفرض على الإنسان منذ ولادته أن يكون موالياً للدولة؟! الولاء للدولة ينبع -في المعتاد- من حالةٍ فيها تُحضن الدولة مواطنها وترعاه. عندها فقط يأتي الولاء بصورة عفويّة، ويكون وليدًا لولاء الدولة تجاه المواطن والاهتمام بمصالحه ومستقبله. ولكن إذا أرادوا سنّ قانون عنصريّ لضمان الولاء، فنتائج ستكون عكس ما يتوقعون.

### جدل: هل تعتبر أنّ مستوى التعاون بين القوى السياسيّة مناسب لمستوى خطورة مشروع الدولة اليهوديّة؟

زيدان: لا شكّ أنّه هناك تفاوت في فهم هذه الأمور. ولكن رسالتي لزملائي رؤساء الأحزاب السياسيّة، الذين هم جزء هامّ من لجنة المتابعة، أنّ لكلّ حزبٍ شرعيّة أن يقوّي صفوفه في الخارج ونشاطاته، وأن يقوم بالفعاليّات التي توسّع مساحة حزبه؛ أمّا في إطار لجنة المتابعة، فينبغي أن يكون الهدف موحّدًا. أي ينبغي أن نعمل ويتعامل بعضنا مع بعض انطلاقًا من مصلحة الجماهير العربيّة -وتلك مصلحة هي فوق المصالح الحزبيّة.

جدل: هل تعتقد أنّه من المهمّ أن نبدأ بمشروع إعلاميّ يتوجّه الى العالم، بمعنى أن نتوجّه نحن كجماهير عربيّة في الداخل بواسطة أجسامنا التمثيليّة إلى الغرب وأمريكا على وجه التحديد. لشرح مدى خطورة مشروع الدولة اليهوديّة، ولنوضّح أنّ لمخطّط الدولة اليهوديّة وللإعتراف العالميّ به إسقاطاتٍ خطيرةٍ علينا وعلى حقّ العودة وعلى القضية الفلسطينيّة عامّة؟



زيدان: أجل، أنا أعتقد أننا اليوم في وضع يلزمنا فيه أن نبدأ التفكير في وسائل وأدوات مبتكرة لشرح قضيتنا، ومن المهم أن يحدث هذا مبكرًا لعله يكون رادعًا لما نتوقعه. لا شك في أن إسرائيل أصبحت الآن، أكثر من أي وقت مضى، أصبحت أكثر حساسية لقضية الرأي العام العالمي حولها؛ ففي الماضي كانت الممارسات الإسرائيلية تغطى في الإعلام تغطية كاذبة، دون أن يفحص الأمر أحدًا. أما اليوم، فإن وسائل الإعلام الحديثة والألكترونية والمواقع والإنترنت والعولمة لا تمكن إسرائيل من التحكم بالإعلام وإخفاء ما تريد إخفاءه. في السابق، كانت إسرائيل ترتكب المجازر ضد شعبنا الفلسطيني، بالحروب أو بغيرها، وترتكب الكثير من الممارسات غير القانونية وما من أحد يفحص، لأنها كانت تتحكم بإعلامها ولم يصل مراسلو وسائل إعلام أخرى للفحص والتحقق. اختلف الأمر الآن، وإسرائيل أصبحت حساسة للوضع العربي، وذلك أن وسائل الإعلام تكشف عن الأحداث في يوم حصولها تمامًا.

لذلك نقول إن واجبنا أن نحضر مذكرة بواقع الجماهير العربية في الداخل، مذكرة تتناول كل دوائر حياتنا هنا، وكل مراحل وظواهر الظلم والإجحاف والتمييز والقهر وخطورة الدولة اليهودية وخطورة فرض القوانين العنصرية، وأن نتوجه بها إلى العالم أجمع. وقد بدأت بإجراء مشاورات في سبيل تحضيرها بغية إرسالها إلى كل السفارات التي في إسرائيل، وإلى كل الهيئات الدولية والأمم المتحدة والهيئات المتفرعة منها. كل هذا ابتغاء أن نظهر للعالم أننا اليوم فعلاً نواجه مشكلة وجود لا مشكلة حقوق فقط، وأنه يجب التطرق إلى ذلك قبل أن تتفاقم الأمور. بواسطة مثل هذه المذكرة نقدم بعض الإشارات والتحذيرات مما قد يحدث ومن خطورة "الدولة اليهودية" التي يرعونها. وكنت قد أعلمت السفير الأمريكي في جلسة معه بهذا الموقف وتلك المخاطر. وقد قال لنا: إذا كنتم تريدون ترتيب جلسة مع جورج ميتشيل، الموفد الرسمي إلى المنطقة، فسأساهم في هذه الجلسة، وبإمكانكم أن تعرضوا هذه القضايا. وسنحاول ترتيب جلسة مع ميتشيل بعد تحضير المذكرة. أنا أتصور أن العامل الرئيسي في المنطقة اليوم هو العنصر الأمريكي. هناك بعض المؤثرات أنه قد يحدث تغيير في الموقف الأمريكي في ما يتعلق بهذا الصراع، لكن ما زالت هذه المؤثرات نظرية وليست عملية.

**جدل: وهل سيكون هنالك توجه إلى الدول العربية، إلى جامعة الدول العربية ومؤسسات عربية في الخارج أيضاً؟**

زيدان: المذكرة سوف تُرسل بصورة رسمية إلى السفراء العرب الذين هنا، وإلى جامعة الدول العربية - باعتبارها هيئة تمثل كل الدول العربية.

قبل أيام، دعوتُ السفير المصري، وكانت لي جلسة خاصة معه، قلت له خلالها: يكفيني أن العالم العربي "شأننا" (أي كرهنا) لمدة 60 سنة مضت، واليوم أن الأوان أن تفعلوا العكس، وأن تهتموا بالعرب الذين في الداخل. وطلبت إليه أن يبادر إلى تنظيم لقاء لممثلي لجنة المتابعة بالحكومة المصرية وبالرئيس مبارك. ويمكن أن نقوم بالخطوات نفسها مع سائر الدول العربية. دورنا اليوم هو أن نوسع دائرة عملنا وحدود الاحتجاجات. الوسائل التي في حوزتنا محدودة، أما إذا تضافر موقفنا ومواقف رافضة لممارسات إسرائيل من طرف الدول العربية، ولا

سيما مصر التي لا ريب أنّ لها دوراً رئيسياً في الضغط على إسرائيل، سيمكننا حينئذٍ أن نوثر، وأن ننقل مشكلتنا إلى خارج حدود هذه الدولة، وإلى أوساط عالمية مؤثرة.

### جدل: هل وصل هذا الموقف الرئاسة الفلسطينية والسلطة الفلسطينية؟

زيدان: هناك اتصالات مع السلطة الفلسطينية، وهناك قرارات وتنسيق. ولكني أعتقد أنهم لن يفيدونا كثير إفادة في هذه المرحلة. قد يكون الضغط العربي والدولي أنجع من الضغط الفلسطيني بكثير.

### جدل: هل تستطيع لجنة المتابعة أن تكون رأس الحربة في التصدي ليهودية الدولة؟

زيدان: نعم، شريطة أن يكون الجمهور واعياً وموقفه واضحاً من أنّ لجنة المتابعة هي التي تمثل الجماهير العربية في صراعها. واضح أنّ هناك محدوديات، ولكن عندما يكون هناك وضوح رؤية ووضوح هدف وإرادة، يصبح من السهل التنفيذ. أنا أقول إنّ وحدتنا اليوم هي حجر الزاوية في عملنا، وحدتنا تتمثل من خلال لجنة المتابعة. ربما هناك بعض الترهّل في صفوف القيادة والجمهور، ولكن هذا خطّ بيانيّ ينخفض ويرتفع، وأنا أرى أنّ جمهورنا لديه المسؤولية.

---

\* **لجنة المتابعة العليا لقضايا الجماهير العربية في إسرائيل** - وهي تنظيم قطري، اقيم عام 1982 بدعوة من سكرتارية اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحليّة وأعضاء كنيست عرب. وتضم اليوم ممثلين عن هيئات واطر وطنية اضافية. جاءت بهدف دعم السلطات المحليّة العربية لمعالجة وتحسين أوضاع الحكم المحليّ العربيّ. منذ منتصف الثمانينيات، بدأت اللجنة تأخذ طابع جسم تمثيليّ وقياديّ وبدأت بالتعرّض لقضايا الجماهير العربية المختلفة. ومع أنّ المؤسسة الإسرائيليّة ترفض الاعتراف باللجنة اعترافاً رسمياً كممثلة للجماهير الفلسطينية، لكنّها في الواقع تتعامل معها وتأخذ قراراتها على محمل الجدّ. وقد ظهر في السنوات الأخيرة، خطابٌ وتوجّه سياسيّان تقودهما حركات سياسيّة ومثقفون وأكاديميون، يطالبان بإعادة بناء وتنظيم اللجنة. (انظروا محمّد أمارة، "لجنة المتابعة العليا لقضايا الجماهير العربية في إسرائيل"، لدى نديم روحانا وأريج صباغ-خوري (محرران)، (2010). **الفلسطينيون في إسرائيل: قراءة في التاريخ، والسياسة، والمجتمع**. حيفا: مدى الكرمل - المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية).

\*\* نبيل الصالح - محرّر "جدل"